

روح المعاني

هنا لتضمنه معنى التكذيب وأيا ما كان فتقديم الجار و المجرور مراعاة لرؤوس الآي أو للقصر ونقل الطبرسي عن أبي علي أن الجار متعلق بالظالمين وفيه خفاء وما ذكر من أن الفاء لتعليل ما يشعر به الكلام هو الذي قرره بعض المحققين وقيل انها لتعليل لقوله سبحانه قد نعلم الخ بناء على أن معناه لا تحزن كما يقال في مقام المنع والزجر : نعلم ما تفعل فكأنه قيل : لا تحزن مما يقولون فان التكذيب في الحقيقة لي وأنا الحليم الصبور فتخلق بأخلاقه ويحتمل أن يكون المعنى إنه يحزنك قولهم لأنه تكذيب لي فانت لم تحزن لنفسك بل لما هو أهم واعظم ولا يخفى أن هذا خلاف المتبادر وقيل معنى الآية فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وروي ذلك عن قتادة وغيره ويؤيده ما رواه السدي أنه التقى الأحنس ابن شريق وابو جهل فقال الأحنس لأبي جهل : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل وا إن محمدا A لصادق وما كذب محمد E قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية وكذا ما أخرجه الواحدي عند مقاتل قال كان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب يكذب النبي A في العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد A من أهل الكذب ولا أحسبه الا صادقا فانزل الله تعالى الآية وقيل : المعنى أنهم ليس قصدهم تكذيبك لأنك عندهم موسوم بالصدق وإنما يقصدون تكذيبك والجحود بآياتي ونسب هذا إلى الكسائي وأيد بما أخرجه الترمذي والحاكم وصحاه عن علي كرم الله تعالى وجهه أن ابا جهل كان يقول للنبي A ما نكذبك وإنك عندنا لصادق ولكننا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكذا أخرج الواحدي عن أبي ميسرة واعترض الرضى هذا القول بأنه لا يجوز أن يصدقوه A في نفسه ويكذبوا ما أتى به لأن من المعلوم أنه E كان يشهد بصحة ما أتى به وصدقه وأنه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز أن يكون صادقا في خبره ويكون الذي أتى به فاسدا بل إن كان صادقا فالذي أتى به صحيح وإن كان الذي أتى به فاسدا فلا بد أن يكون كاذبا فيه وقال مولانا سنان إن حاصل المعنى انهم لا يكذبونك في نفس الأمر لأنهم يقولون إنك صادق ولكن يتوهمون أنه اعترى عقلك وحاشاك نوع خلل فخيال اليك أنك نبي وليس الأمر بذاك وما جئت به ليس بحق وقال الطيبي : مرادهم إنك لا تكذب لانك الصادق الأمين ولكن ما جئت به سحر ويعلم من هذا الجواب عن اعتراض الرضى فتدبر وقيل : معنى الآية أنهم لا يكذبونك فيما وافق كتبهم وإن كذبوك في غيره وقيل : المعنى لا يكذبك جميعهم وإن كذبك بعضهم وهم الظالمون المذكورون في هذه الآية وعلى هذا لا يكون ذكر

الظالمين من وضع المظهر موضع المضمرة وقيل : غير ذلك ولا يخفى ما الأليق بجزالة التنزيل .
وقرأ نافع والكسائي والاعمش عن أبي بكر لا يكذبونك من الأكاذاب وهي قراءة علي كرم الله
تعالى وجهه ورويت أيضا عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فقال الجمهور كلاهما بمعنى
كأكثر وأكثر وأنزل ونزل وقيل : معنى أكذوبته وجدته كاذبا كاحمدته بمعنى وجدته محمودا
ونقل أحمد بن يحيى عن الكسائي أن العرب تقول كذبت بالتحديد إذا نسبت الكذب اليه
وأكذبتة إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دونه وقوله تعالى : ولقد كذبت رسل من قبلك تسليية
اثر تسليية لرسول الله ﷺ فان عموم البلوى ربما يهونها بعض تهوين